

## أثر القرآن والحديث في اللغة العربية

### نشأة المعجم العربي أنموذجا

أ.العمري بلاعدة

جامعة المسيلة

#### ملخص

تتناول هذه الدراسة مدى تأثير القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في اللغة العربية عموما، وفي قضية نشوء المعجم العربي خصوصا.

وقد بينت هذه الدراسة مدى هذا التأثير، حيث يتجلى بصفة عامة في الحفاظ على اللغة العربية وبقائها وخلودها، وكذا إثرائها وتهذيب وتطوير ألفاظها، وكذلك سعة انتشارها وجعلها لغة عالمية.

أما تأثير القرآن والحديث في نشوء المعجم العربي فهو ظاهر وجلي، حيث يعتبر القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف هما النواة الأولى للمعجم العربية.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، الحديث النبوي، التأثير، اللغة العربية، المعجم العربي.

**Abstract:**This study focuses on the Influence of the Holy Quran and Hadith in the Arabic language in general, and the emergence of the Arabic lexicon in particular. The study has revealed that this Influence-in the side of Arabic language in general- was: The preserving and maintaining the Arabic language during the ages, Enriching and developing its vocabulary, gave it Wide spreading, And make it a universal language. In the side of Arabic lexicon; The study revealed that the Influence was very; because of the Holy Quran and Hadith were the first nucleus of the Arabic dictionaries.

#### مقدمة

إن علاقة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف باللغة العربية علاقة وطيدة ومتينة لا يمكن أن ينفك أحدهما عن الآخر، باعتبار أن القرآن الكريم والسنة النبوية هما المصدران الأساسيان لشريعة الإسلام قد أوحاهما الله تعالى باللغة العربية، وبالتالي لا يمكن أن نفهم نصوص القرآن والسنة إلا بفهم اللغة العربية، ومما هو معلوم أن فهم نصوص القرآن والسنة واجب بإجماع العلماء، وعليه ما لا يفهم إلا يفهم اللغة يستلزم أن يكون فهم اللغة العربية فرض واجب أيضا، لأن القاعدة تقول ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب،

وقد جاءت آيات قرآنية كثيرة تدل على عربية القرآن منها قوله تعالى ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

يوسف: ٢ . وقوله سبحانه أيضا ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ طه: ١١٣ . وقوله أيضا ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾

الشورى: ٧ . وقوله أيضا ﴿ كَذَّبُ فَصَلَّتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ فصلت: ٣ . وقوله

أيضا ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا عَيْرَ ذِي عَوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ الزمر: ٢٨ . وقوله أيضا ﴿ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٣﴾ نَزَلَ بِهِ

الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١١٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥ . فمجيء هذه الآيات

البيانات في مساق تقرير البرهان على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم مع تضمن تعديد المنّة عليه، ومن جملتها تنزيل الوحي

على قلبه ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ شاهد بوضوح الدلالة على فضل هذا العلم، والكاشف عن أسرار هذا اللسان مباشرة،

ووساطة على أن جميع ما يلوح من لطائف هذه الجملة، مشعر بذلك من حيث الإشارة إليها في سياق تعظيم المنة عليه صلى الله عليه وسلم مقتض دليلها، لإتمام النعمة عليه في إنزال القرآن باللسان الموصوف بما دل على شرفه وفضله على غيره<sup>(1)</sup>.

والحديث النبوي الشريف الذي يأتي في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم من حيث التشريع والاستشهاد، حيث لا يوجد خلاف بين العلماء في الاحتجاج به في الشريعة الإسلامية واستنباط أحكامها. وكذا لا يوجد خلاف في مسألة الاستشهاد به في اللغة من حيث المعنى المعجمي والبلاغي لمفرداتها، وإنما وقع خلاف في الاستشهاد به في مسائل النحو وتقييد قواعده، ولكن أغلب النحاة ذهبوا إلى الاحتجاج به، وهذا لأن النبي صلى الله عليه وسلم أفصح العرب، وقد قال: "أنا أفصح العرب، بيد أي من قريش"<sup>(2)</sup>. وهذا دليل واضح على أن كلامه أفصح كلام، وأن أسلوبه أرقى الأساليب. ومن جهة أخرى فهو يعبر بذلك عن افتخاره بأنه ينتهي إلى العروبة واللغة العربية، لأن لغته هي لغة القرآن الكريم.

وهذا الكلام يدل على عظم شأن اللغة العربية ومكانتها، واهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بها.

ومن مظاهر عظمة النبي صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته أن انقادت له البالغة والفصاحة، وأوتي جوامع الكلم، فكان عليه الصلاة والسلام يتكلم بالكلام الموجز القليل اللفظ الذي يدل على معاني عظيمة، حيث ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال: "ضِلْتُ على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالعرب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون"<sup>(3)</sup>.

وقد أخطأ أحد المتحدثين أمام رسول الله في اللغة، فقال عليه الصلاة والسلام لمن حضر من الصحابة: "أرشدوا أخاكم فقد ضل"<sup>(4)</sup>. فاعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم للحن في اللغة أو الخطأ فيها شيئاً من الضلال والبعد عن الهداية والرشاد. كما نجده حث على تعلم العربية وتعليمها في قوله: "تعلموا العربية، وعلموها أولادكم، فإنها لسان ربكم في الجنة"<sup>(5)</sup>. وقد روي عن ابن عباس عن رسول الله أنه قال: "أحبوا العرب لثلاث: لأني عربي، والقرآن عربي، وكلام الجنة عربي"<sup>(6)</sup>. وروي عن عمر بن الخطاب أنه قال: "تعلموا العربية فإنها تقوي العقل وتزيد في المروءة"<sup>(7)</sup>. وقد كتب سيدنا الفاروق عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري: أما بعد: "تفقهوا في السنة، وتفقهوا في العربية، وأعربوا القرآن فإنه عربي"<sup>(8)</sup>. وهذا لأن فقه اللغة العربية هو الطريق إلى فقه أقواله صلى الله عليه وسلم، وفقه أقواله ﷺ هو الطريق إلى فقه أعماله.

وروي عن الإمام الشافعي وهو حجة في اللغة أنه قال: "من قرأ القرآن عظمت قيمته، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن طلب العربية رقى طبعه، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه"<sup>(9)</sup>.

ومما يستدل على فضل العربية ما ورد في الصحيح عن ابن عمر أن رسول الله قال: "من أحبَّ العرب فبحي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم"<sup>(10)</sup>. فهذا الأثر متضمن لفضل العربية من جهة، وما هي موصولة لمعرفة ما خصت به من بين سائر الأمم، وهو لسانها الذي نزل به القرآن الكريم، والعلم باللغة العربية وسيلة إلى فهم أشرف المقاصد، وهي علوم

(1) انظر: الحميري (أبو عبد الله محمد بن علي بن الأزرق، 896هـ): روضة الأعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام، ج 1، ص 93.

(2) أخرجه الطبراني عن أبي سعيد الخدري. وذكره الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو بن محمد الخوارزمي، 538هـ): كتابه الفائق في غريب الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، (1996م). ص 9.

(3) أخرجه الحاكم في المستدرک، وقال صحيح الإسناد، ج 2، ص 477.

(4) أخرجه البخاري في الكنى، ص 68.

(5) رواه الحاكم في المستدرک، ج 4، ص 87.

(6) أخرجه الحاكم في المستدرک، وقال صحيح، ج 4، ص 98-97.

(7) رواه ابن أبي شيبة وسعيد ابن منصور والبيهقي في الشعب. رجاله ثقات وفيه انقطاع بين عمرو بن دينار وعمرو بن الخطاب.

(8) انظر: الحميري (أبو عبد الله محمد بن علي بن الأزرق، 896هـ): روضة الأعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام، ج 1، ص 103.

(9) رواه الحاكم في المستدرک، ج 4، ص 73.

الكتاب والسنة، وحينئذ يكون لها من الفضائل على الجملة ما لتلك المقاصد الشريفة، لأن الوسائل من حيث هي لها أحكام مقاصدها<sup>(9)</sup>. ولذلك قال أبو منصور الثعالبي في مقدمة كتابه فقه اللغة وأسرار العربية: "فإن من أحب الله أحب رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم، ومن أحب النبي العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب اللغة العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحب العربية عُني بها وثابر عليها، وصرف همته إليها، ومن هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان وآتاه حسن سريرة فيه، اعتقد أن محمداً صلى الله عليه وسلم خير الرسل، والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهيمها من الديانة، إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد، ثم هي لإحراز الفضائل والاحتواء على المروءة وسائر أنواع المناقب كالينبوع للماء، والزند للنار، ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها، والوقوف على مجاريها ومصارفها، والتبحر في جلائها ودقائقها إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن، وزيادة البصيرة في إثبات النبوة الذي هو عمدة الإيمان لكفى بهما فضلاً يحسن أثره، ويطيب في الدارين ثمره، فكيف وأيسر ما خصها الله عز وجل من ضروب الممدوح ما يكل أقدام الكتبة، ويُتعب أنامل الحسبة، ولما شرفها الله عز اسمه وعظمتها، ورفع خطرهما وكرمهما، وأوحى بها إلى خير خلقه، وجعلها لسان أمينه على وحيه، وأسلوب خلفائه في أرضه، وأراد بقاءها ودوامها حتى تكون في هذه العاجلة لخير عبادته، وفي تلك الآجلة لساكني دار ثوابه، قيض لها حفظة وخزنة من خواص الناس وأعيان الفضل وأنجم الأرض"<sup>(1)</sup>.

ومن ثم فإن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، ولغة الأحاديث النبوية الشريفة. ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فإن الله تعالى لما أنزل كتابه باللسان العربي، وجعل رسوله مبلغاً عنه للكتاب والحكمة بلسانه العربي، وجعل السابقين إلى هذا الدين متكلمين به؛ لم يكن سبيل إلى ضبط الدين ومعرفته إلا بضبط اللسان، وصارت معرفته من الدين، وصار اعتبار التكلم به أسهل على أهل الدين في معرفة دين الله، وأقرب إلى إقامة شعائر الدين، وأقرب إلى مشاهيرهم للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، في جميع أمورهم..."<sup>(2)</sup>. ولذلك اعتبر العلماء أن خدمة اللغة العربية والتأليف فيها خدمة للقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والدفاع عنها يُعدُّ دفاعاً عن حى القرآن والسنة.

### المطلب الأول: تعريف القرآن والحديث

#### أولاً: تعريف القرآن

1/ تعريف القرآن لغة<sup>(3)</sup>: اختلف العلماء في أصل كلمة (قرآن) فهي مشتقة أم علم دلّ على الكلام المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، كما أن الإنجيل والتوراة علّمان. وممن قال بهذا الإمام الشافعي رحمه الله. أما من يقول أن كلمة (قرآن) هي مشتقة، فقد اختلفوا في أصل اشتقاقها أي من قرن" بفتح الثلاثة " أم من قرأ. ومن قال هي من قرن فالخلاف بين معنيين: أولهما: الضم. وذهب إلى ذلك الإمام أبو الحسن الأشعري، وثانها: القرائن. وذهب إلى ذلك الإمام الفراء. ومن قال هي من قرأ فالخلاف على معنيين هما: بمعنى تلا، وبمعنى جمع.

(9) انظر: الحميري (أبو عبد الله محمد بن علي بن الأزرق، ت896هـ): روضة الأعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام، ج1، ص92.

(1) الثعالبي (أبو منصور الثعالبي، ت430هـ): كتاب فقه اللغة وأسرار العربية. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ط1 (1416هـ - 1997م). ص2 - 3.

(2) ابن تيمية (تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام النميري الحراني، ت728هـ): اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، مكتبة الرشد، الرياض. ج1، ص402.

(3) انظر: الزرقاني، محمد عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر. ج1، ص14-15. مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت. ط3، (1421هـ - 2000م). ص20. فضل حسن عباس: إتقان البرهان في علوم القرآن، دار النفائس، الأردن، ط2، (1430هـ - 2010م). ج1، ص55-59.

ولعلّ الأصحّ في هذا كلّهُ أنّها من قرأ بمعنى تلا؛ حيث يؤيد القرآن نفسه هذا المعنى؛ وذلك في قوله تعالى ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَجَلَّ بِهٖ﴾ (١٦) **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ** ﴿١٨﴾ القيامة: ١٦ - ١٨ . فقد ذكر سبحانه وتعالى القراءة وهي هنا بمعنى التلاوة وأتبعها بذكر المصدر. ومن هنا فالقرآن من شأنه أن يقرأ، وإن أول كلمة أوحيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم هي (اقرأ). وورد كذلك قوله تعالى ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً﴾ المزمّل: ٤ . وقوله تعالى أيضا ﴿وَأَنْ أتلُوا الْقُرْءَانَ﴾ النمل: ٩٢ . فالقراءة والترتيل والتلاوة كلّها بمعنى واحد من حيث الإشارة إلى معنى كلمة (قرآن).

ويمكن القول أن القرآن في المعاني الأخرى التي أشار إليها القائلون بأصل اشتقاق كلمة (قرآن). فالقرآن ضمت آياته وسوره إلى بعضها البعض. وكذلك هو بمعنى الجمع. فالقرآن لا يتلى حتى تجتمع حروفه في الفم. ثم إنه قد جمعت آياته وسوره. وهي مرتبطة ببعضها بطريقة عجيبة محكمة. وقد جمع ثمرات الكتب السابقة كلّها. 2/ تعريف القرآن اصطلاحا: عرّف العلماء القرآن بتعريفات عديدة لعلّ أشهرها ما رجحه العلماء، وهو المتفق عليه بين الأصوليين والفقهاء وعلماء العربية: "القرآن هو كلام الله المعجز، المنزل على محمّد صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته، المنقول بالتواتر، المكتوب في المصاحف" (1). وهذا التعريف يحتاج إلى شرح وبيان (2). ونعني بـ "كلام الله": فالكلام جنس في التعريف يشمل كل كلام، وإضافته إلى الله يخرج كلام غيره من الإنس والجن والملائكة. أما "المعجز" فهو الذي أراده الله معجزة لنبيّه محمّد صلى الله عليه وسلم. والمعجزة: هي الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدي، يجريه الله على أيدي أنبيائه إظهارا لصدقهم وتأييدا لهم. والإعجاز هنا هو إظهار صدق النبي صلى الله عليه وسلم في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب وغيرهم عن معارضته في معجزته الخالدة، وهي القرآن الكريم. علما أن هذا الإعجاز مستمر استمرار القرآن الكريم، بينما معجزات الأنبياء الآخرين انتهت في حينها. وهذا ما نلمسه في حديث أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما من أنبياء إلا أعطيت ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيا، أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة" (3). فمعجزة القرآن مستمرة لأمة باقية شاء الله أن تكون خير أمة أخرجت للناس، فيكون القرآن معجزا فهذا قيدٌ يخرج الكتب السماوية الأخرى؛ لأن الله لم يشأ لها الإعجاز. أما "المنزل" يخرج كلام الله الذي استأثر به سبحانه وتعالى

مصداقا لقوله ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَفِدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ الكهف: ١٠٩ . "على محمد ﷺ" يخرج ما أنزل على الأنبياء قبله كالتوراة والإنجيل وغيرهما. أما "المتعبد بتلاوته" فيخرج قراءات الأحاد والأحاديث القدسية؛ لأنّ التعبد بتلاوته معناه الأمر بقراءته في الصلاة وغيرها على وجه العبادة، وليست قراءة الأحاد والأحاديث القدسية كذلك. ونعني بـ "المنقول بالتواتر" هو الخبر الذي ينقله جمع يؤمن تواطئهم على الكذب عن جمع مثلهم من أول السند إلى منتهاه. والقرآن نقل إلينا هكذا، فقد أوحى إلى النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق جبريل عليهما السلام عن الله تعالى. وقد حفظه العدد الكبير من الصحابة ثم نقلوه بمختلف قراءاته إلى التابعين، والتابعين من بعدهم وهكذا. هذا كلّهُ إضافة إلى الكتابة التي كانت مع نزوله حين اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم كتابا للوحي، فكان توثيق النصّ حفظا في الصدور وكتابة في السطور. ويخرج بهذا القيد ما يذكره العلماء من القراءات الشاذة التي ربّما قرأ بعض الصحابة بها لا على أنّها من القرآن، بل على سبيل التفسير فقط. ونعني بـ "المكتوب في المصاحف" فهذا إشارة إلى ما كان في زمن عثمان بن عفان حين استنسخ عدة نسخ عن المصحف الذي جمعه أبو بكر الصديق. وهذا المصحف هو جمعٌ لما كان

(1) صبيح الصالح: مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط. (2009م). ص 21.

(2) انظر: مناع القطان: مباحث في علوم القرآن. ص 21.

(3) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب: كيف نزل الوحي، وأول ما نزل. رقم (4696).

قد كتب في زمن النبي صلى الله عليه وسلم. فالصحابة في زمن أبي بكر وعثمان لم يجمعوا أو ينسخوا إلا قرآنا فاستنيت

القراءات الشاذة والآيات المنسوخة للحكم التي أشار إليها سبحانه وتعالى ﴿ مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا

أَوْ مِثْلَهَا ۗ لَمْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ البقرة: ١٠٦ .

بهذه الخصائص تميّز القرآن الكريم عن غيره من الكتب السماوية، وأنواع الوحي، وأي نص مقدّس.

ثانيا: تعريف الحديث

1/ تعريف الحديث لغة<sup>(1)</sup>: الحديث هو الجديد من الأشياء، وهو ضد القديم، يُطلق على الكلام قليله وكثيره؛ لأنه يحدث ويتجدّد شيئاً فشيئاً، وجمعه أحاديث كقطيع وأقاطيع، وهو شاذ على غير قياس. ويطلق ويراد به كلّ كلام يتحدث به وينقل ويبلغ الإنسان من جهة السمع أو الوحي في يقظته أو منامه. وهذا المعنى سمّي القرآن حديثاً، قال تعالى ﴿ ومن أصدق من الله حديثاً ﴾ النساء(87).

2/ تعريف الحديث اصطلاحاً: هو ما أضيف إلى النبي صلّى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية. ونعني بالقول مثل قوله صلّى الله عليه وسلم " إنّما الأعمال بالنيّات؛ وإنّما لكلّ امرئ ما نوى..."<sup>(2)</sup>. أما الفعل كألذي ثبت من تعليمه لأصحابه كيفية الصلّاة ثمّ قال: " صلّوا كما رأيتموني أصلي"<sup>(3)</sup>. وما ثبت من كيفية حجّه. وقال "خذوا عني مناسككم"<sup>(4)</sup>. ونعني بالإقرار كأن يقرّ عليه الصلّاة والسّلام أمراً علّمه عن أحد الصحابة من قول أو فعل؛ سواء أكان ذلك في حضرته صلّى الله عليه وسلم أم في غيبته. مثل ما روي من أنّ رسول الله بعث رجلاً على سريّة، وكان يقرأ لأصحابه في صلّاته فيختم "قل هو الله أحد". فلمّا رجعوا ذكروا ذلك له عليه الصلّاة والسّلام، فقال: سلوه لأيّ شيء يصنع ذلك فسألوه، فقال: لأنّها صفة الرّحمن، وأنا أحبّ أن أقرأ بها، فقال عليه السّلام: "أخبروه أنّ الله يحبّه"<sup>(1)</sup>. أما الصّفة فمثل ما روي "أنّه كان عليه الصلّاة والسّلام دائم البشر، سهل الخلق، لينّ الجانب، ليس بفظّ ولا غليظ، ولا سخّاب، ولا فحّاش، ولا عيّاب..."<sup>(2)</sup>.

والمقصود بالحديث النبوي الشريف في مقالنا هو ذلك الكلام الصادر عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، والذي يأتي في أعلى درجات الفصاحة والبيان بعد القرآن الكريم. المطلب الثاني: مظاهر أثر القرآن والحديث في اللغة العربية: يتجلى أثر القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في اللغة العربية بصفة عامة في الحفاظ على اللغة العربية وبقائها وخلودها، وكذا إثرائها وتهذيب وتطوير ألفاظها، وكذلك سعة انتشارها وجعلها لغة عالمية.

(1) – انظر: ابن منظور(محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي، ت711هـ): لسان العرب،

مادة (ح د ث)، دار صادر. صبيح الصالح: علوم الحديث ومصطلحه، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان. ط، (أبريل 2002م). ص 4 - 5.

(2) رواه البخاري في صحيحه، باب: بدء الوحي، رقم(01). ومسلم في صحيحه، باب: قوله صلى الله عليه وسلم: "إنّما الأعمال بالنية"، وأنّه يدخل فيه الغزو وغيره، رقم(1907).

(3) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب: المكث بين السجدين. ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب: الأحق بالإمامة.

(4) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب: استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر رابكاً وبينان قوله صلى الله عليه وسلم: "لتأخذوا عني مناسككم"، رقم(1907).

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، رقم(6940). ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة قل هو الله أحد، رقم(813). من حديث عائشة رضي الله عنها.

(2) رواه البيهقي في دلائل النبوة من حديث هند ابن أبي هالة. ج 1، ص 291.

1/ الحفاظ على بقاء اللغة العربية وخلودها: إن ارتباط اللغة العربية بالوحيين القرآن والسنة جعلها محفوظة بحفظها

وباقية بقاءهما، لأن الله تعالى تكفل بحفظ دينه مصداقا لقوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر:

٩ . ولعلّ هذا مما يميز اللغة العربية عن بقية لغات العالم أنها ارتبطت بكتاب إلهي، وبالتالي فمادام أن هناك قرآنا يُتلى فاللغة العربية موجودة. ولذلك يقول الدكتور عبد الجليل عبد الرحيم: "وإذا رحنا نبحت عن السر الكامل وراء خلود هذه اللغة والحفاظ عليها من الاندثار أثناء العصور، وبقائها غضة تتمتع بقوتها وحيويتها فلن نجد غير القرآن الذي نزل بها، فمنحها من القوة وأضفى عليها من حُلل الكمال ما جعلها أعجوبة في فم الزمان... فكان هو وما أحدثه من أثر سياجا منيعا في حفظ اللغة العربية ومدّها بين الحين والحين بمقومات الحياة حتى لا يعترتها الضعف أو الوهن وحتى لا تشعر بالإعياء أو الكلل، فقد كان القرآن ولا يزال كالطود الشامخ يتحدى كل المؤثرات والمؤامرات التي حيكت وتحاك ضد لغة القرآن واقف بالمِرصاد لكل من سوّلت له نفسه بحرمة هذه اللغة"<sup>(3)</sup>. وهذا معناه أن القرآن هو الحاكم على العربية والمهيمن عليها، فلقد شاء الله أن يجعل العربية لغة الوحي المنزل لتصبح لغة دين، ثم كتب لها الحفظ والخلود بحفظ القرآن وخلوده، وحفظ

القرآن ليس مهمة بشر، بل هي أمر الله وحده<sup>(4)</sup> مصداقا لقوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر:

٩ . واقتضت حكمته سبحانه وتعالى ألا يصحّ نقل القرآن الكريم إلى لغة أخرى غير لغة التي نزل بها، وبالتالي فلا يجوز ترجمته شرعا، وإنما تترجم معانيه وأفكاره. علما أن هذه الترجمات لا تسمى قرآنا، وإنما هي شروح وبيان لمعاني القرآن الكريم.

إن اللغة العربية قد حافظت على بقائها ووجودها بفضل القرآن الكريم الذي تعهد الله بحفظه وبقائه، فكان لها من السمو والرفعة والانتشار بسبب نزوله حتى أصبحت سيده لغات العالم، وقد شهد بذلك الأعداء من المستشرقين والأعاجم، حيث يقول المستشرق الألماني كارل بروكلمان: "بلغت العربية بفضل القرآن من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أي لغة أخرى من لغات الدنيا"<sup>(1)</sup>. ويقول أرنست رينان الفرنسي في كتابه تاريخ اللغات السامية: "من أغرب ما وقع في تاريخ البشرية، وصعب حل سرّه انتشار اللغة العربية، فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادئ ذي بدء، فبدأت فجأة في غاية الكمال، بحيث لم يدخل عليها منذ نشأتها وإلى يومنا هذا أيّ تعديل مهم، فليس لها طفولة ولا شيخوخة، ظهرت لأول مرة تامة مستحكمة، ولم يمض على فتح الأندلس أكثر من خمسين سنة حتى اضطر رجال الكنيسة أن يترجموا صلواتهم بالعربية؛ ليفهمها النصارى"<sup>(2)</sup>. ويقول جورج سانت: "ولغة القرآن على اعتبار أنها لغة العرب كانت بهذا التجديد كاملة، وقد وهبها الرسول صلى الله عليه وسلم مرونة جعلتها قادرة على أن تدون الوحي الإلهي أحسن تدوين بجميع دقائق معانيه ولغاته، وأن يعبر عنه بعبارات عليها طلاوة وفيها متانة، وهكذا يساعد القرآن على رفع اللغة العربية إلى مقام المثل الأعلى في التعبير عن المقاصد"<sup>(3)</sup>. ومن ثمّ يمكن القول أنه لولا القرآن والحديث ما كانت عربية فقد اتصل الدين باللغة اتصالا وثيقا.

2/ توحيد لهجات اللغة العربية: مما هو معلوم أن اللغة العربية قبل الإسلام كانت لها لهجات مختلفة ومتباينة لدرجة أنها قد لا تكون مفهومة لدى البعض، ويشهد لهذا ما روي عن النبي ﷺ أنه تحدّث إلى وفد بني نهد بعبارات سمعها علي بن أبي طالب ولم يعرف معناها، فقال يا رسول الله: نحن بنو أب واحد ونراك تكلم العرب بما لا نعرفه، فقال رسول الله: "أنا

(3) عبد الجليل عبد الرحيم، لغة القرآن الكريم، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، الأردن. ط1، (1401هـ - 1981م). ص583.

(4) انظر: محمد محمد داود: كمال اللغة القرآنية بين حقائق الإعجاز وأوهام الخصوم. ص21.

(1) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: من قضايا اللغة العربية المعاصرة. إدارة الثقافة، تونس. ط، (1410هـ - 1990م). ص274.

(2) أنور الجندي: الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط، (1402هـ - 1982م)، ص307.

(3) أنور الجندي، اللغة العربية بين حماها وخصومها، مطبعة السعادة. ص22.

أفصح العرب بيد أي من قريش<sup>(4)</sup>. وهذا الأمر كان طبيعياً وشائعاً بين العرب في ذلك الزمن، لأنه نابع من طبيعة فطرتهم في جرسها وأصواتها وحروفها، غير أن لغة قريش كانت لها الصدارة، وذلك لما اختصت به قريش من جوار البيت وسقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام والإشراف على التجارة، فاقتضت حكمة الله تعالى أن يتنزل القرآن الكريم بلغة قريش على النبي القرشي محمد ﷺ تأليفاً للعرب وتوحيداً لاهلجتهم المختلفة. يقول الرافي: "ومن المعلوم بالضرورة أن القرآن قد جمع أولئك العرب على لغة واحدة بما استجمع فيها من محاسن هذه الفطرة اللغوية التي جعلت أهل كل لسان يأخذون بها ولا يجدون لهم عنها مرغياً إذ يرونها كملاً لما في أنفسهم من أصول تلك الفطرة البيانية"<sup>(5)</sup>.

وقد فسّر الحديث النبوي الوارد عن ابن عباس الذي يقول فيه النبي ﷺ: "أقرأني جبريل على حرف فراجعتة، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف"<sup>(1)</sup>. على الرأي الراجح الذي ذهب إليه كثير من العلماء والمحققين إلى أن المراد بالأحرف السبعة هي سبع لغات من لغات العرب متفقة من حيث المعنى، مختلفة في اللفظ. وهذا بغاية تيسير قراءة القرآن وحفظه. وباعتبار أن لغة قريش كانت أفصح اللغات وأحسنها مسموعاً فقد راعى الخليفة عثمان بن عفان هذا الجانب عند قيامه بجمع القرآن الكريم في مصحف واحد، حيث قال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة<sup>(2)</sup>: "إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم..."<sup>(3)</sup>. ولذلك نجد المؤرخ ابن خلدون يذكر سرّاً فصاحة لغة قريش وأصروها، وهو بعد قبيلة قريش عن بلاد العجم من جميع الجهات الأربع<sup>(4)</sup>.

3/ تهذيب اللغة العربية: نجد أن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف قد هدبا اللغة العربية من الألفاظ الحوشية والغريبة، حيث من يتأمل النثر أو الشعر الجاهلي يرى كثيراً من الكلمات الحوشية، من ذلك: جحيش، ومستشزرات، وجحلنجع، والبخصات، وافرندقوا، وغيرها من الكلمات.

كما نجد أيضاً أن القرآن الكريم والحديث النبوي قد نعى كثيراً من الألفاظ التي تعبر عن معان لا يقرها الإسلام من ذلك:

- المرباع: وهو ريع الغنيمة الذي كان يأخذه الرئيس في الجاهلية.

- النشيطة: وهي ما أصاب الرئيس قبل أن يصير إلى القوم، أو ما يغنمه الغزاة في الطريق قبل بلوغ المكان المقصود.

- المكس: وهو دراهم كانت تؤخذ من من بائعي السلع في أسواق الجاهلية<sup>(5)</sup>.

4/ إثراء اللغة العربية وتطوير ألفاظها: لقد أضاف الوحيان القرآن والحديث إلى اللغة العربية معاني جديدة لم تكن معروفة لدى العرب، وهي ما تسمى بالألفاظ الإسلامية. يقول ابن فارس: "كانت العرب في الجاهلية على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وأدابهم ونسائكهم وقرايبهم، فلما جاء الله تعالى بالإسلام حالت أحوال، ونسخت ديانات وأبطلت أمور ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع آخر، بزيادة زيدت وشرائع شرعت، وشرائط شرطت، فعفى الآخر الأول"<sup>(1)</sup>. ومن

(4) سبق تخريجه.

(5) الرافي (مصطفى صادق الرافعي): إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط، (1425هـ - 2005م)، ص 57.

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف، رقم (4705). ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب: بيان أن القرآن أزل على سبعة أحرف، رقم (272).

(2) وهم عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام رضي الله عنهم جميعاً.

(3) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، رقم الحديث (4978).

(4) انظر: ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد، أبو زيد، الإشبيلي، ت 1406هـ)، مقدمة ابن خلدون، دار البلخي، دمشق، سوريا، ط، (1425هـ - 2004م)، ج 2، ص 378.

(5) انظر: محمد محمد داود: العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب، القاهرة، ط، (2001م)، ص 38-39.

(1) ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، ت 395هـ): الصحاح في فقه اللغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، (1418هـ - 1997م)، ص 44.

الألفاظ والعبارات التي أثارها القرآن والحديث وطورها: الإيمان والكفر، والإسلام والنفاق، والصلاة والزكاة، والصوم والحج، والجاهلية والفسوق، مات حتف أنفه، والآن حيي الوطيس... كما كان الوحي القرآن والحديث السبب الرئيس وراء نشأة علوم العربية، وكان لكل علم من هذه العلوم مصطلحاته الخاصة به<sup>(2)</sup>.

5/ سعة انتشار اللغة العربية وجعلها لغة عالمية: بمجيء الإسلام ونزول القرآن ومبعث النبي محمد ﷺ إلى الناس كافة، حيث دخل الناس في دين الله أفواجا من العرب والعجم، أتجه المسلمون من غير العرب إلى تعلم العربية، رغبة في أداء العبادات والشعائر وقراءة القرآن بالعربية، لأن قراءته عبادة كما هو معلوم، ولذا انتشرت العربية انتشارا واسعا، ونالت شهرة كبيرة، وصارت لغة عالمية، وما كان ذلك ليتحقق لها لولا نزول القرآن ومجيء النبي محمد ﷺ. وهذا الأمر كان واضحا حتى لدى المستشرقين ففي رأي نولدكه مثلا أن العربية لم تصر لغة عالمية حقا إلا بسبب القرآن والإسلام، إذ تحت قيادة قريش، فتح البدو سكان الصحراء، نصف العالم لهم وللإيمان، وهذا صارت العربية لغة مقدسة كذلك<sup>(3)</sup>. وقد سبق قول أرنست رينان الفرنسي في كتابه تاريخ اللغات السامية: "من أغرب ما وقع في تاريخ البشرية، وصعب حل سره: انتشار اللغة العربية، فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادئ ذي بدء، فبدأت فجأة في غاية الكمال..."<sup>(4)</sup>.

إن أثر الوحي في اللغة العربية يظهر جليا عند نزول القرآن الذي يعتبر أزهى عصور البيان العربي، وأرق أدوار التهذيب اللغوي، وهل بلغت المجامع اللغوية في أمة من الأمم ما بلغته الأمة العربية في ذلك العصر من العناية بلغتها حتى أدركت هذه اللغة أشدها، وتم لهم بقدر الطاقة البشرية تهذيب كلماتها وأساليبها. وخلاصة القول أن نزول الوحي قد كفل مجموعة من النتائج في وجود اللغة العربية<sup>(5)</sup>:

\*- أن العرب جميعا تشبثوا باللغة الفصحى، لأنها لغة الوحي والعقيدة.

\*- أن اللهجات العامية اقتضرت على حيز ضيق جدا من ممارسة الحديث الخاص بين الأفراد مع اتساع مجالات استخدام الفصحى القرآنية.

\*- أن مرور الزمن، وتتابع الأجيال، لم يكن له من تأثير على بقاء اللغة العربية الفصحى واستقرار إلا مزيدا من تفاعلها مع القرآن، بحيث بقيت لغة الأمة العربية الخالدة بخلود القرآن.

\*- أن نطاق اللغة العربية قد اتسع، بحيث امتد إلى كل المسلمين في أنحاء العالم، فهم يقرأون القرآن بالعربية، ويتعبدون بحروفه، ويتخذون طريقة كتابته وسيلة لتسجيل لغتهم، وهذا في حد ذاته نصر حَقَّقَهُ القرآن للعربية على مستوى عالمي، ونعمة أنعمها الله في نفس الوقت بالإسلام ولغته على تلك الشعوب.

\*- كانت آية القرآن اللغوية إعلانا عن صلاحية اللغة العربية علميا وإنسانيا لحمل وترشيد مفاهيم الحضارة، والتعبير عنها مهما يكن مستواها، لأن اللغة التي تتسع للقرآن وآياته بهذا الاقتدار البالغ، لا بد أن تكون أقدر على التعبير عن أي مستوى من مستويات تقدم الإنسان عبر كل العصور.

من هذا كله يمكن القول أن الوحي كان في حكمة الله تعالى هو الحافظ لبقاء اللغة العربية صحيحة وسليمة بخصائصها وفق أصولها على مر الزمن.

**المطلب الثالث: أثر القرآن والحديث في نشأة المعجم العربي**

قبل بيان أثر القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في نشأة المعجم العربي لا بد من تعريف المعجم لغة واصطلاحا.

**أولا: تعريف المعجم لغة واصطلاحا**

(2) انظر: محمد محمد داود: العربية وعلم اللغة الحديث. ص 36-37.

(3) أنور الجندي: الفصحى لغة القرآن. ص 307.

(4) المرجع نفسه.

(5) انظر: محمد محمد داود: كمال اللغة القرآنية بين حقائق الإعجاز وأوهام الخصوم. ص 27-30.



1/ تعريف المعجم في اللغة : العجم والعجم: خلاف العرب والعرب، والعجم جمع الأعجم الذي لا يفصح ولا يتبين كلامه، وإن كان عربي النسب كزياد الأعجم. أما الأعجمي، فالذي من جنس العجم أفصح أو لم يفصح، والأعجم الذي في لسانه عجمة. وعجمت الكتاب: أهيمته، خلاف قولك أعربت. والأعجم هو الأخرس، والعجماء والمستعجم كل بهيمة، سميت عجماء لأنها لا تتكلم، وكل من لا يقدر على الكلام، فهو أعجم ومستعجم، وبلاد العجم سماها العرب بذلك، لأن لغتها غير واضحة لهم ولا يفهمونها<sup>(1)</sup>. ومن ثمة فإن مادة "عجم" تفيد في اللغة معنى الإبهام والغموض. أما إذا أدخلنا الهمزة على الفعل "عجم" ليصير "أعجم"، اكتسب الفعل معنى جديدا من معنى الهمزة، أو الصيغة، الذي يفيد هنا، السلب والإزالة والنفي. وعلى هذا يصير معنى أعجم: أزال العجمة أو الغموض أو الإبهام، ومنه أطلق على نقط الحروف لفظ "الإعجام"، لأنه يزيل ما يكتنفها من لبس وغموض، فمثلا حرف " ب "، " يحتمل أن يقرأ ب أو ت أو ث ... فإذا وضعنا النقط، أي أعجمناه، زال هذا الاحتمال وارتفع الغموض. ومن هنا جاء لفظ " المعجم " بمعنى الكتاب الذي يجمع كلمات لغة ما، ويشرحها ويوضح معناها ويرتبها بشكل معين. وتكون تسمية هذا النوع من الكتب معجما، إما لأنه مرتب على حروف المعجم " الحروف الهجائية "، وإما لأنه قد أزيل أي إبهام أو غموض منه، فهو معجم بمعنى مزال ما فيه من غموض وإبهام. وعليه فكلمة معجم، إما أن تكون اسم مفعول من الفعل " أعجم "، ويحتمل من ناحية أخرى أن تكون مصدرا ميميا من نفس الفعل، ويكون معناه الإعجام، أو إزالة العجمة والغموض<sup>(2)</sup>.

2/ تعريف المعجم اصطلاحا : عرّف المعجم بأنه كتاب يضم أكبر عدد من مفردات اللغة، مقرونة بشرحها وتفسير معانيها، على أن تكون المواد مرتبة ترتيبا خاصا، إما على حروف الهجاء، وإما حسب الموضوعات. ومما تجدر الإشارة إليه أنه لا يعلم بالتحديد متى استعملت كلمة معجم بهذا المعنى المتعارف عليه اليوم، ولا اسم من أطلقها لأول مرة، ولا الكتاب الرائد في حمل هذه الكلمة في عنوانه، وربما يعود ذلك إلى ضياع كثير من كتبنا وأثارنا العلمية القديمة.

ويظهر من خلال المصادر التي وصلت إلينا، أن علماء الحديث النبوي، هم الأوائل الذين كان لهم فضل السبق في استعمال هذه الكلمة، حين ألفوا الكتب بترتيب حروف الهجاء<sup>(1)</sup>.

وأول من استعمل اللفظة من المحدثين هو الإمام البخاري (ت256هـ)، فقد جاء في كتابه المسعى بالجامع الصحيح، عنوان من تعبير البخاري يقول فيه: "باب تسمية من سمي من أهل بدر في الجامع الذي وضعه أبو عبد الله على حروف المعجم"، والجامع هو أحد مؤلفات الإمام البخاري المعروف بصحيح البخاري. وأول كتاب أطلق عليه اسم المعجم، هو معجم الصحابة لأبي يعلى (ت307هـ)، ثم جاء بعده الإمام البغوي (ت315هـ)، وسعى كتابيه اللذين ألفهما في أسماء الصحابة: المعجم الكبير، والمعجم الصغير، ثم كثُر استعمال المحدثين لكلمة " المعجم " وعنه أخذ اللغويون. ورغم أن الخليل بن أحمد الفراهيدي، هو صاحب أول معجم في اللغة العربية، فإنه لم يسم كتابه معجما، وإنما سماه كتاب العين وليس معجم العين، وكذلك فعل أبو عمرو الشيباني صاحب كتاب الجيم (ت213هـ)، وغيرهما.

والظاهر أن اللغويين القدامى لم يستعملوا لفظ " معجم "، ولم يطلقوه على مصنفاتهم المعجمية، وإنما كانوا يختارون لكل منها اسما خاصا بها يخلو من هذا اللفظ، ويبدو أن إطلاق لفظ معجم على هذه المصنفات جاء في وقت متأخر. وقد استعملت كلمة معجم في العربية بدلالة أخرى غير الدلالة السابقة، وهذه الدلالة الأخرى هي: الكتاب الذي يقدم مجموعة المعارف الأساسية في أحد موضوعات المعرفة، وغالبا ما ترتب مداخل الموضوعات الجزئية بداخله ترتيبا هجائيا، وبهذه الدلالة أطلق البكري (ت487هـ) على كتابه " معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع "، وأطلق الياقوت الحموي على

(1) انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة: ع ج م .

(2) انظر: أحمد مختار عمر: صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، ط1، (1418هـ - 1998م). ص 19 - 20.

(1) انظر: أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، دار المعارف بمصر، ط، (1971م)، ص 135 الهامش.

كتابه " معجم البلدان "، وكلاهما كتاب للأسماء الجغرافية، مرتب على حروف المعجم، يعطي معلومات عن البلدان والجبال والأودية والبحار وغير ذلك، وهناك " معجم الشعراء " للمرزباني، و" معجم المؤلفين " لعمر رضا كحالة<sup>(2)</sup>.

### ثانياً: أثر القرآن والحديث في نشأة المعجم العربي

مما هو معلوم أن الصناعة المعجمية ظهرت منذ عهد سحيق على يد الآشوريين<sup>(3)</sup> والصينيين واليونانيين والهنود.

وهناك شبه إجماع على أن هذه الشعوب سبقت العرب بأكثر من ألف سنة في ابتكار معاجم خاصة بلغتهم<sup>(1)</sup>.

أما بالنسبة إلى العرب ففي العصر الجاهلي لم يعتنوا بجمع لغتهم وتدوينها، لأنهم كانوا أميين، لا يعرفون القراءة ولا الكتابة، ومن جهة أخرى لم تكن الحاجة داعية إلى تأليف معجم، حتى جاء الإسلام، فدعت الحاجة حينئذ إلى أن يسألوا عن معاني بعض الألفاظ ذات الاصطلاح الجديد، كما كانوا يسألون عن بعض الكلمات التي استغلق عليهم فهم معناها<sup>(2)</sup>.

وعليه فإن بداية المعجم العربي كان بعد نزول القرآن الكريم ومبعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ومنذ أن واجه الصحابة رضوان الله عليهم مشكلة فهم ألفاظ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يفسر ويبين للصحابة عليهم الرضوان، ما صعب عليهم من ألفاظ أو معان غامضة التي وردت في القرآن الكريم، أو في الحديث النبوي الشريف، فكان عليه الصلاة والسلام بمثابة المرجع الرئيسي للأسئلة اللغوية التي يوجهها إليه الصحابة، ومن ذلك:

\* ما روي عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: "إن أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وأبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة هم: الثرثارون والمتشدقون والمتفهمون، قالوا يا رسول الله قد عرفنا الثرثارين والمتشدقين، فمن المتفهمون؟ قال: المتكبرون"<sup>(3)</sup>.

\* ما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه سئل عن دلالة قوله تعالى ﴿ وَفَكَهَتْ أَبَاً ﴾ عيسى: ٣١ فقال: أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني، إن أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم<sup>(5)</sup>.

\* ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قرأ قوله تعالى ﴿ وَفَكَهَتْ أَبَاً ﴾ عيسى: ٣١ قال: أما الفاكهة فقد عرفناها، فما هو الأب؟ ثم يتدارك عمر نفسه ليقول: إن هذا لهو الكلف يا عمر، وفي رواية، قال: ما كلفنا وما أمرنا بهذا<sup>(6)</sup>.

\* وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنه: "كنت لا أدري ما ﴿ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ فاطر: ١. حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، يقول: أنا ابتدأتها"<sup>(7)</sup>.

(2) انظر: رجب عبد الجواد إبراهيم: دراسات في الدلالة، ص 137 - 144. إميل يعقوب: المعاجم اللغوية العربية بدايتها وتطورها، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان. ط1 (1981م)، ص 12.

(3) يرى بعض الباحثين أن الكشوفات الحديثة أثبتت أن الآشوريين هم العرب القدماء، ومن ثمة فإن أجداد العرب هم أول من ابتكر المعاجم. انظر في هذا: محمد خليفة الأسود: التمهيد في علم اللغة، منشورات جامعة السابغ من أبريل، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية. ط2، (1425 من ميلاد الرسول ﷺ)، ص 136.

(1) انظر: رجب عبد الجواد إبراهيم: دراسات في الدلالة، دار غريب، القاهرة. ط، (2001م)، ص 137.

(2) انظر المرجع نفسه. ص 138.

(3) أخرجه الترمذي في سننه رقم (2018)، وقال حديث حسن. وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ج 2، ص 385.

(5) انظر: السيوطي (عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد سابق الدين الخضيري السيوطي، ت 911 هـ): الإتيان في علوم القرآن، دار الحديث، القاهرة. ط، (1427 هـ - 2006م). ج 2، ص 344.

(6) انظر: المصدر نفسه.

(7) انظر: المصدر نفسه.

وقد وقع مثل هذا كثير في تلك الفترة الزمنية.

وأشهر من تصدى للتفسيرات اللغوية في النص القرآني بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، عبد الله بن عباس، حبر الأمة وترجمان القرآن، فقد كان يتصدر لشرح، وبيان الغوامض والمشكلات من ألفاظ القرآن الكريم.

وقد روى أصحاب السير والتراجم، أنه يعدّ من أوائل أصحاب المجالس العلمية، يأتيه الناس للسؤال، فكان له يوم للفقهاء، ويوم للشعر، ويوم للأنساب، ويوم للمغازي، ويوم للتفسير<sup>(1)</sup>، وكان ابن عباس يعتمد في بيانه وتفسيره على إحاطته شبه الشاملة بديوان العرب - وهو الشعر - فقد صرح بقوله: "الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب، رجعنا إلى ديوانها، فالتمسنا معرفة ذلك منه"<sup>(2)</sup>. وكان يقول: "إذا تعاجم شيء من القرآن، فانظروا

في الشعر، فإن الشعر عربي، والله تعالى يقول ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ الزخرف: ٣ . وقال ابن عباس أيضا: "إذا سألتموني عن غريب القرآن، فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب"<sup>(3)</sup>.

\*- وسؤالات نافع بن الأزرق ونجدة بن عامر التي أوردها الإمام السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن، والتي بلغت مائتين وخمسين سؤالاً، شاهد على الرغبة في تفسير القرآن، وما غمض منه بشواهد من الشعر العربي، فقد حدثنا المؤرخون أن عبد الله بن عباس كان جالسا بفناء الكعبة، قد اجتمع حوله الناس يسألونه عن تفسير القرآن العظيم، فلما سمع نافع بن الأزرق ونجدة بن عامر بقدره ابن عباس على تفسير القرآن العظيم، وفهم ألفاظه ومعانيه، فوفدا عليه يسألانه عن غريب القرآن، من ذلك:

• قال نافع: يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾ العاديات: ٦ . قال: الكفور النعم، وهو الذي يكفر وجده، ويمنع رفته، ويجيع عبده، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول الشاعر: شكرت له يوم العكاظ نواله\*\*\* ولم أك للمعروف ثم كنودا.

• قال: يا ابن عباس، أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿ فَيَسْتَفْهِمُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ ﴾ الإسراء: ٥١ . قال: يحركون رؤوسهم استهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت الشاعر، وهو يقول: أتغنص لي يوم الفجار وقد ترى\*\*\* خيولا علمها كالأسود ضواريا.

• قال: يا ابن عباس، أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿ وَأَبْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ المائدة: ٣٥ . قال: الوسيلة: الحاجة، قال: أو تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عنتر بن شداد وهو يقول: إن الرجال لهم إليك وسيلة\*\*\* إن يأخذوك تكحلي وتخضي.

• قال: أخبرني عن قوله تعالى ﴿ شَرَعَةً وَمِنْهَا جَا ﴾ المائدة: ٤٨ . قال: الشرعة: الدّين والمنهاج والطريق. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وهو يقول:

لقد نطق المأمون بالصدق والهدى\*\*\* ويّين للإسلام ديننا ومنهاجا

وهكذا يمضي نافع يسأل، وابن عباس يفسّر، ويستشهد على تفسيره بيت من الشعر في حوالي مائتين وخمسين موضعا من القرآن الكريم.

(1) انظر: الزركلي، (خير الدين الزركلي، ت1396هـ): الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ج4، ص95.

(2) انظر: السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص387.

(3) انظر المصدر نفسه.

وقد عرفت هذه المحاورات في التاريخ بـ "مسائل نافع بن الأزرق" أو "سؤالات نافع بن الأزرق"، وقد جُمعت هذه السؤالات، وظهرت مطبوعة في كتب عدة كالإتقان للإمام السيوطي<sup>(1)</sup>، كما ظهرت في كتاب مستقل بتحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي في بغداد سنة 1968م<sup>(2)</sup>.

وقد اعتبر المؤرخون هذه المحاورات، النواة الأولى للمعاجم العربية، كما عزا المؤرخون لابن عباس كتاب في غريب القرآن كما ذكر بروكلمان<sup>(3)</sup>، وأنه كانت منه نسخة في برلين قبل الحرب العالمية الثانية، لكن يرجح بعض المحققين كالدكتور حسين نصار، والدكتور أحمد مختار عمر وغيرهما<sup>(4)</sup>، أن ابن عباس لم يكن هو الذي دوّن كتابا في غريب القرآن، وإنما دوّنه أحد الرواة الذين جمعوا بعض أقواله التي أدلى بها في تفسير الغريب من ألفاظ القرآن الكريم. وهناك تفسير منسوب لابن عباس، وهو "التفسير الأكبر" رواية ابن أبي طلحة وابن الكلبي، وفيه شرح لمفردات القرآن مع تفسير آياته الكريمات، وصنيع ابن عباس في هذا التفسير، هو صنيع معجبي<sup>(5)</sup>.

وقد سار على نهج ابن عباس أبان بن تغلب بن رباح الجري، المعروف بأبي سعيد البكري، مولى بني جرير بن عباد، وكان قارئاً، فقيهاً ولغوياً كبيراً، ألف كتاباً في غريب القرآن، وذكر شواهد من الشعر العربي كابن عباس. ومن ثمة يعتبر ابن عباس ثم أبان بن تغلب، قد وضعوا نواة المعجم العربي، وجعلوا محوره القرآن الكريم<sup>(6)</sup>.

وقد شعر العلماء منذ الصدر الأول للإسلام بحاجتهم إلى الشعر العربي للاستعانة به في فتح مغاليق الألفاظ والأساليب الغريبة الموجودة في القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة. وهذا أبو حاتم الرازي يقول مصداقاً لذلك: "ولولا ما بالناس من الحاجة إلى معرفة لغة العرب، والاستعانة بالشعر على العلم بغريب القرآن، وأحاديث رسول الله، والصحابة والتابعين والأئمة الماضين، لبطل الشعر وانقرض ذكر الشعراء، ولعفى الدهر على آثارهم، ونسي الناس أيامهم"<sup>(7)</sup>. ويقول الدكتور حسين نصار: "وكانت هذه الحركة التي ترمي إلى توضيح آيات القرآن، هي الحركة العلمية الأولى عند المسلمين... وليس فيما أحسب من شيء أكثر صلة به من محاولة فهمه بإدراك غريبه ومشكله، فتفسير غريب القرآن ومشكله أولى الحركات العلمية التي رآها العرب. وكان للحديث الشريف نصيبه في إظهار الدراسات اللغوية، فقد اتجهت هذه الدراسات إلى العناية بغريب الحديث، كما عنيت بغريب القرآن، ولعل الأهم من ذلك أن الدراسات القرآنية - أو تفسير القرآن وغريبه - كانت تعتبر من الحديث في نشأتها الأولى، لأن المفسر الأول هو الرسول الكريم، والحديث حديثه عليه الصلاة والسلام، فما فسّر القرآن منه لا يخرج عن كونه حديثاً نبوياً في الأصل"<sup>(1)</sup>.

وقد كان لكتب الغريبين القرآن والحديث أثر ظاهر وجلي في نشأة المعجم العربي، حيث أضافت إلى مادة المعجم حتى تميّز بورود الألفاظ القرآنية والحديثية فيه، واعتبرت من أهم مصادره. بل يمكن القول أن المرحلة الأولى لظهور فكرة المعجم كان منشؤها دراسات حول القرآن والحديث<sup>(2)</sup>.

(1) انظر: السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص387-415.

(2) انظر: رمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ص109.

(3) انظر: أحمد نعيم الكراعين: علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، المؤسسة الجامعية، بيروت، لبنان، ط1، (1413هـ - 1993م)، ص32.

(4) انظر: أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، ص61.

(5) انظر: رجب عبد الجواد إبراهيم: دراسات في الدلالة والمعجم، ص140.

(6) انظر المرجع نفسه.

(7) انظر: رمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية، ص111.

(1) حسين نصار: المعجم العربي نشأته وتطوره. دار مصر للطباعة، ط4، (1988م)، ج1، ص26-27.

(2) انظر المرجع نفسه.

وهكذا نلاحظ أن دراسة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف كانت أحد الأسباب الرئيسية التي أسهمت في نشأة المعجم العربي، ولذلك يقول الدكتور المبروك زيد الخير: "ومعلوم أن الدرس المعجمي في صورته التأسيسية بدأ مع تطلب فهم القرآن ودلالاته المعجزة التي أنزلت إلى البشرية جمعاء ﴿يَلْسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ الشعراء: ١٩٥ . واهتمام العرب باللغة بدأ باهتمامهم بالقرآن الذي ضمن الله حفظه، وثبات نضه الأصلي بمنأى عن التحريف الذي طال الكتب السماوية السابقة، ولذلك يقول الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر: ٩" (3).

وبالتالي فإن ظهور المعجم العربي كان بعد نزول الوحي، وهو ثمرة من ثمار القرآن والحديث. والغاية من وضع المعاجم العربية هو الحفاظ على لغة الوحي المتمثل في القرآن والسنة، ولذلك وجدنا أن من أهم الأسباب والدوافع التي دعت علماء العربية إلى وضع المعاجم هو حراسة القرآن الكريم والسنة من أي خطأ في النطق أو الفهم، وخاصة إذا علمنا أن هناك ألفاظا كثيرة وردت في القرآن والحديث عدها اللغويون من الغرب والنوادير، قد استغلق فهم معناها على الفصحاء من المسلمين الأوائل كأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما وغيرهما، كما سبق أن أشرنا إلى ذلك. وقد يكون هذا السبب نفسه هو الذي حمل النحويين على أن يعتنوا بالنحو، ليبعدوا اللسان عن الخطأ في تلاوة القرآن الكريم.

وعليه فإن الباحث يدور أساسا حول النص القرآني والحديثي لقراءته على الوجه الصحيح وفهم معانيه، وفقا لأساليب العرب وقواعد النطق والأداء، صونا وحفظا لكتاب الله وسنة النبي ﷺ من اللحن والخطأ على الألسنة والأفهام. يقول ابن منظور في مقدمة معجمه لسان العرب مبيّنا السبب الرئيسي الذي دفعه إلى وضع معجمه: "فإني لم أقصد سوى حفظ أصول هذه اللغة النبوية، وضبط لفظها، إذ عليها مدار الكتاب العزيز والسنة النبوية" (4).

#### خاتمة

يستفاد مما سبق أن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف لهما أثر واضح وجلي وكبير في اللغة العربية، حيث تبين من خلال هذه الدراسة ما يلي:

- \*- أن اللغة العربية محفوظة وباقية وخالدة ببقاء وخلود شريعة الله تعالى في أرضه.
- \*- أن السبب وراء ثراء اللغة العربية وتهذيب وتطوير ألفاظها، وكذلك سعة انتشارها وجعلها لغة عالمية هو القرآن والحديث.
- \*- أن نشوء المعجم العربي في صورته التأسيسية بدأ مع تطلب فهم القرآن ودلالاته المعجزة.
- \*- اعتبرت كتب غريب القرآن وغريب الحديث من أهم مصادر المعجم العربي. بل إن المرحلة الأولى لظهور فكرة المعجم العربي كان منشؤها دراسات حول القرآن والحديث.
- \*- لا شك أن أثر القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف كبير جدا وأنه لا ينحصر في نشوء المعجم العربي فقط، وإنما يتعدى أثرهما إلى باقي العلوم الأخرى، بل أثر القرآن والحديث يتعدى إلى الخلق والكون جميعا، ومن ثم يوصي الباحث أن تتجه جهود الباحثين إلى بيان هذه الآثار، لأن ذلك يعد خدمة للقرآن الكريم وللحديث النبوي الشريف، واللغة العربية أيضا.

(3) المبروك زيد الخير: محاضرات في قضايا المعجم العربي وعلاقتها بالدرس اللساني الحديث، دار الوحي، الجزائر. ط1، (1432هـ - 2011م)، ص21.

(4) ابن منظور: لسان العرب، ج1، ص08.

## قائمة المصادر والمراجع

### \* - القرآن

#### الكريم.

- 1- أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، طبعة: 1971م، توزيع دار المعارف بمصر.
- 2- أحمد مختار عمر: صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، الطبعة الأولى: 1418هـ - 1998م.
- 3- أحمد نعيم الكراعين: علم الدلالة بين النظر والتطبيق، الطبعة الأولى: 1413هـ - 1993م، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
- 4- الأزرق، أبي عبد الله محمد بن علي بن الأزرق الحميري الأصبحي الغرناطي: روضة الأعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام، تحقيق الأستاذة سعيدة العلمي، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1: 1999م.
- 5- الألباني، محمد ناصر الدين الألباني: صحيح سنن الترمذي للحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، مكتبة المعارف، الرياض، ط1: 1420هـ - 2000م.
- 6- الأنباري، أبو بكر الأنباري: إيضاح الوقف والابتداء، تحقيق: محي الدين عبد الرحمن رمضان. ط: 1390هـ - 1971م.
- 7- إميل يعقوب: المعاجم اللغوية العربية بدايتها وتطورها، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1981م،
- 8- أنور الجندي: الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط: 1402هـ - 1982م.
- 9- أنور الجندي: اللغة العربية بين حمايتها وخصومها، مطبعة السعادة.
- 10- البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، ضبطه وخرّج أحاديثه ووضع فهرسه: الدكتور مصطفى ديب البغا، نشر مشترك موقع للنشر، دار الهدى للطباعة والنشر. عين مليلة، الجزائر.
- 11- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ط: 1408هـ - 1988م.
- 12- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق وتعليق ناصر بن عبد الكريم العقل، مكتبة الرشد، الرياض.
- 13- الثعالبي، أبو منصور الثعالبي: كتاب فقه اللغة وأسرار العربية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.
- 14- الحاكم النيسابوري: المستدرک علی الصحیحین، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، بدون تاريخ.
- 15- حسين نصار: المعجم العربي نشأته وتطوره، دار مصر للطباعة، الطبعة الرابعة: 1988م.
- 16- ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد: مقدمة ابن المقدمه، حقق نصوصه وخرّج أحاديثه وعلق عليه عبد الله محمد الدرويش، دار البلخي، دمشق، سوريا، ط: 1425هـ - 2004م.
- 17- الرافي، مصطفى صادق الرافي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: 1425هـ - 2005م.
- 18- رجب عبد الجواد إبراهيم: دراسات في الدلالة والمعجم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط: 2001م،
- 19- رمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- 20- الزخشري، جار الله محمود بن عمر الزمخشري: الفائق في غريب الحديث، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. الطبعة الأولى: 1996م.
- 21- الزرقاني، محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر.
- 22- الزركلي، خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

- 23- السيوطي، جلال الدين السيوطي: إتقان في علوم القرآن، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، ط: 1427هـ - 2006م.
- 24- صبحي الصالح: الحديث ومصطلحه، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان. ط: أبريل 2002م.
- 25- صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان. ط: 2009م.
- 26- عبد الجليل عبد الرحيم: لغة القرآن الكريم، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، الأردن. الطبعة الأولى: 1401هـ - 1981م.
- 27- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الثعالبي من لغوي القرن الرابع الهجري: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها. تحقيق: أحمد حسن لسج. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. الطبعة الأولى: 1416هـ - 1997م.
- 28- فضل حسن عباس: إتقان البرهان في علوم القرآن، دار النفائس، الأردن، الطبعة الثانية: 1430هـ - 2010م.
- 29- المبروك زيد الخيز: محاضرات في قضايا المعجم العربي وعلاقتها بالدرس اللساني الحديث، دار الوعي، الجزائر، ط: 1432هـ - 2011م.
- 30- محمد خليفة الأسود: التمهيد في علم اللغة، الطبعة الثانية: 1425 من ميلاد الرسول ﷺ، منشورات جامعة السابع من أبريل، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية.
- 31- محمد محمد داود: كمال اللغة القرآنية بين حقائق الإعجاز وأوهام الخصوم.
- 32- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري: صحيح مسلم: للإمام، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار الفكر للطباعة والنشر. لبنان. الطبعة الأولى: 1375هـ - 1955م.
- 33- مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة: 1421هـ - 2000م.
- 34- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: من قضايا اللغة العربية المعاصرة، إدارة الثقافة، تونس، ط: 1410هـ - 1990م.
- 35- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر.